مسحة المرضى عِندَ النصَارى

مفهومها، وتاريخها، وموقف النصارى منها

دراسة وصفيةٌ

إعداد
د. حمود بن إبراهيم بن سلامه

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المشارك بقسم الثقافة الإسلامية
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

المستخلص

مسحة المرضى سرٌ مقدس عند عامة النصارى، يعتقدون أن المريض ينال بها شفاء أمراضه الروحية والجسدية، وتسمى مسحة المرضى، وسر الزيت المقدس، وسر المسحة الأخيرة.

وقد مرّت مسحة المرضى المسيحة عبر التاريخ بجملة من الممارسات والأدعية والأقوال لم يدلّ عليها دليل، وانتهت إلى طقوس وإضافات لم تكن موجودة في عهد المسيح عليه السلام ولا تلاميذه، وإنما هي من ابتداع النصارى ومجامعهم.

وقد اختلف موقف النصارى من مسحة المرضى فالكاثوليك يؤمنون بأهمية المسحة في دينهم، وهي عندهم من نِعم الروح القدس عليهم، وهي حقٌ للكهنة والقساوسة دون غيرهم، ولا يُشترط في الكهنة والقسوس رتبةً معينة من رتب الإكليروس، وفي أداء المسحة يقومون بجملة من الأدعية والصلوات يعتقدون معها أن المسيح يحضر ويشارك المريض في آلامه، ويقوم الكاهن حال قراءته بمسح جبين المريض ويديه بزيتٍ قد قُدس - في زعمهم - بطقسٍ معينٍ.

أما الأرثوذكس فيتفقون مع الكاثوليك في القول بأهمية المسحة ومكانتها من الدين، وهي عندهم - كما عند الكاثوليك - سرٌ من الأسرار السبعة المقدسة، كما أنها السبيل الأفضل والأكمل للشفاء من الأمراض الجسدية، والمسحة عندهم حقٌ للكهنة والقساوسة دون غيرهم.

وأما وقت أداء مسحة المرضى؛ فإن الأرثوذكس يقرنون المسحة بالمرض، فمتى وجد المرض شُرع معه المسحة المقدسة، ولا يُعطى لغير المرضى.

وأما البروتستانت فلا تُمثّل مسحة المرضى عندهم سرّاً مقدساً، لأنه ليس عليها دليلٌ في كتابهم المقدس، ويرى بعض البروتستانت أن ما ورد من مسحة في زمن المسيح، وما جاء في كتابهم المقدس، إنما المراد به حفظ الناس وإبعادهم عن الوثنين وعلاجهم، وعلى هذا ينكر البروتستانت أية طقوس تحتف بالمسحة كتخصيصها بزيتٍ معين أو أدعيةٍ وطقوسٍ خاصةٍ ونحوها.

Anointing of the Sick

Anointing of the Sick is a Sacrament on Christians Generally, they believe that the sick recovers from his spiritual and physical ills through it, that is why it is called the Anointing of the Sick, the mystery of holy oil, and the mystery of the last swab.

Anointing of the Sick has passed through history by different practices, prayers and words without any evidence given, and ended with ritual and additions that were not found in the life time of Jesus nor his disciples. however, it is the Christians inventing and their synagogues.

The Christians are differ in their attitude towards the Anointing of the Sick; The Catholics believe in the importance of the Anointing in their religion, it means to them honor of the Spirit on them, and it is the right of priests and pastors only. Attaining clergy ranking is not required in the priests rank. When establishing Anointing a set of supplications and prayers are practiced with the believe that Christ will come and share pains with the sick. The priest while supplicating touches the sick's forehead with sacred oil- according to their believes.

The Orthodox agree with Catholics in the believe of the importance of anointing and it status in religion, and it is count as a secret of the seven holy sacraments, it is also the best way of recovering from physical ailments. The Orthodox believes that anointing is a right given to the priests and pastors only, nobody else.

According to the time for establishing anointing, the Orthodox attribute the performance of anointing with the sick; whenever the sick is found the holy anointing is established. It is not given to someone else except the sick.

However, the Protestants do not see anointing of the sick has a sacred secret, because it does not have evidence in their holy book, and some Protestants find that the anointing in the time of Christ and in their holy book is meant for keeping people and keeping them distance from the pagans and their treatment. Due to this, the Protestants deny any ritual that differs from anointing such as using certain oil or certain prayers or rituals and the like.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن من جملة ما ابتدعته الكنيسة ولفّقته في تشريعها، ما يُعرف بأسرار الكنيسة السبعة[1]، حيث أهالت عليها شيئاً من القداسة، وجانباً من الغموض، وأطلقت عليها مسمى "الأسرار" لتزيد في إيهامها، ولتكون فرصةً سانحة للتلاعب بعقول أتباعهم ومؤيديهم، وزعمت أن هذه الأسرار عبارة عن وسائط، تسري من خلالها النعمة لحياة كل مسيحي.

يقول القمص يوحنا سلامه: (ولا حاجة إلى القول بأن الكنيسة تعتبر هذه الأسرار من دعائم الدين القويم، وأركان المعتقد المستقيم، ولذلك وضع آباء الكنيسة وعلماؤها اللاهوتيون المؤلفات النفيسة المدعومة بالآيات البينات، والبراهين الساطعة المأخوذة من الكتاب المقدس نفسه)[2].

ومن بين تلك الأسرار ما يعرف بسرّ مسحة المرضى، التي ترتبط بمرض المسيحي وتعبه، فيلجأ إلى هذا السرّ حال تعبه، ويجد في طلبه والسؤال عنه من خلال بابوات الكنيسة وأساقفتها، بغيت الحصول على بركته كما يعتقدون.

ولأهمية هذا السرّ عند النصارى، ولكونه يُمثل جانباً مقدساً، فنقضه وبيان عواره يُسهم بشكل واضح في هدم النصرانية من جوانب أخرى، غير جانب التثليث والصلب وقضايا المعتقد المشهورة ـ وهذا لا يعني عدم أهميتها، فهي أساسية ـ لكل ذلك رأيتُ أن أستعين بالله في الكتابة حول مسحة المرضى عند النصارى، وبيان شيء مما يتعلق بها، وحكم اللجوء إليها، والله وحده المستعان.

أهمية الموضوع وأسباب الاختيار:

يمكن إجمال أبرز أسباب الاختيار فيما يلي:

---

(1) أسرار الكنيسة السبعة هي: سر المعمودية، وسر الميرون، وسر التوبة والاعتراف، وسر العشاء الرباني أو الأفخارستيا، وسر مسحة المرضى، وسر الزيجة المقدسة، وسر الكهنوت.
انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣١٥-٣٤٢.

(2) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة: ٨/٢.

١/ تُمثِّل مسحة المرضى سراً من أسرار الكنيسة المقدسة التي لها مكانتها واعتبارها في ديانة القوم، وهي وسيلة أساسية عندهم للاستشفاء والتعافي من الأمراض، مما يجعل بحثها وتأملها ضرورياً.
٢/ الوقوف على جوانب من الأدعية التي تقال أو الأفعال التي تُفعل في هذه المسحة، ومدى اشتمالها على الشرك[1] من عدمه.
٣/ كون الأمراض من الأمور التي تحتاج إلى علاج، وبها يبتلي الله العبد لينظر من يصبر ومن يجزع، فدراسة هذه الحالة ووسيلة معالجتها عند النصارى، تظهر جانباً عظيماً من التوحيد واللجوء لله عند المسلمين مقارنة بفعل النصارى في استشفاءهم بقديسيهم وبطاركتهم، فبضدها تتمايز الأشياء.
٤/ كون الأمراض أمراً يرد على جميع الناس، وهو من الحوادث المتكررة التي تحتاج إلى علاج، فالتحذير من كل ما يعتري العلاج مما يؤدي إلى الشرك أمرٌ لازمٌ.

أهداف البحث:

١. **بيان حقيقة مسحة المرضى عند النصارى، وأدلتها وشيء من أحكامها.**
٢. **الوقوف على جانب من الأقوال والأفعال التي تُخالط مسحة المرضى، ومدى شركيتها من عدم ذلك.**
٣. **بيان وتحقيق التحريف الذي طرأ على المسيحية بذكر شيءٍ مما في تشريعها في جانب علاج المرض من الشركيات والانحرافات.**
٤. **إثراء مكتبات العقيدة الإسلامية والأديان بشيء من المصنفات في مسحة المرضى وجوانب مخالفتها.**

منهج البحث:

اتبعتُ في هذا البحث المنهج الوصفي، وحرصتُ على أمور، منها:

١. **اختصار المعلومة ـ قدر الإمكان ـ اختصاراً غير مخلٍ، ليسهل الاطلاع عليها، وتحصل الفائدة المرجوة منها.**
٢. **الالتزام بإرجاع الأقوال ـ قدر الاستطاعة ـ إلى مصادرها الأصلية.**
٣. **اتبعتُ الطريقة المختصرة في الإحالة، وذلك بذكر اسم الكتاب ثم الجزء والصفحة، وأخرتُ كامل التفاصيل إلى قائمة المراجع.**

---

[1] الشرك: هو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته.

و وحده الموفق.

خطة البحث:

قسمتُ البحثَ إلى: ستة مطالب ثم الخاتمة، كما يلي:

المطلب الأول: تعريف مسحة المرضى.

المطلب الثاني: تاريخ مسحة المرضى في المسيحية.

المطلب الثالث: أدلة مسحة المرضى في المسيحية.

المطلب الرابع: موقف الكاثوليك من مسحة المرضى.

المطلب الخامس: موقف الأرثوذكس من مسحة المرضى.

المطلب السادس: موقف البروتستانت من مسحة المرضى.

الخاتمة: ذكرتُ فيها أهم النتائج.

المطلب الأول : التعريف بمسحة المرضى

المسح لغةً:
المسح في أصله تمرير اليد على الشئ الممسوح.
قال ابن منظور: (والمَسْحُ: إمرارك يَدك عَلَى الشَّيْءِ السائِلِ أَو الْمُتَلَطِّخِ، تُرِيدُ إِذهابه بِذَلِك، كَمَسْحِك رأْسك مِنَ الْمَاءِ وَجَبِينَك مِنَ الرَّشْح، مَسَحه يَمْسَحُه مَسْحاً وَمَسَحَهُ، وَتَمَسَّح مِنْهُ وَبِهِ. في حَدِيثِ فَرَسِ الْمُرابِطِ:
أَنَّ عَلَفَه ورَوْثَه ومَسْحاً عَنْهُ فِي مِيزَانِهِ؛ يُرِيدُ مَسْحَ التراب عَنْهُ وَتَنْظِيفَ جِلْدِهِ.
وقوله تعالى: وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[1].
وقال الحموي في المصباح: (مَسَحْتُ الشَّيْءَ بِالْمَاءِ مَسْحًا أَمْرَرْتُ الْيَدَ عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْمَسْحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَكُونُ مَسْحًا وَهُوَ إصَابَةُ الْمَاءِ وَيَكُونُ غَسْلًا، يُقَالُ: مَسَحْتُ يَدِي بِالْمَاءِ إذَا غَسَلْتَهَا وَتَمَسَّحْتُ بِالْمَاءِ إذَا اغْتَسَلْتَ)[2].

مسحة المرض اصطلاحاً:
يُعرِّف جمهورُ النصارى مسحة المرضى بأنها: **(سرٌ مقدس**[3]، به ينال المريض **المؤمن شفاء** أمراضه الروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية، ويسمى سر الزيت المقدس)[4].
ويُعرفها آخرون بأنها: (مسحةٌ يقوم بها شيوخ الكنيسة باسم الرب، وترافقها بعض الصلوات، والمفعول المتوقع مزدوج، وهو تسكين المرض، والشفاء من الخطايا)[5].
وتشتهر بمسحة المرضى، كما تُسمى بمسحة الزيت، وصلاة القنديل[6]، ويزيدُ الكاثوليك من النصارى بتسميتها سر المسحة الأخيرة[7]، **وسر الموت، لاعتقاد** متقدميهم أنها تُعطى لمن به مرض الوفاة، جاء في وثائق الكنيسة الكاثوليكية ما

---

(1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: **٥٧١/٢**.
(2) **لسان العرب: ٥٩٥/٢**.
(3) كونها سرّاً مقدساً ليس محل اتفاقٍ بينهم، فمن النصارى من يراها مجردةً عن السرية و القداسة، كما سيأتي بحول الله.
(4) أسرار الكنيسة السبعة:**١٢٨**، و عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية:**٣٣٤**.
(5) معجم الإيمان المسيحي:**٤٥٧**.
(6) **انظر:** المسيحية في عقائدها:**٤٢٦**، أسرار الكنيسة السبعة:**١٢٨**، عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية:**٣٣٤**.
(7) **انظر:** المسيحية في عقائدها:**٤٢٧**.

نصّه: (ومن المقرر أن تُعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطرٍ شديد يُنذر بنهاية الحياة، ولهذا دُعي هذا السر أيضاً سر المائتين)[1].

ولكونها تُعرف غالباً عند النصارى بمسحة المرضى؛ فسيغلب التعبير بهذا المصطلح على غيره في ثنايا البحث.

---

[1] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: ٤٣١.

المطلب الثاني : تاريخ مسحة المرضى

جاء الخبر في كتابنا الحكيم أن من بين المعجزات التي جاء بها المسيح عليه السلام شفاء المرضى بإذن الله، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﭼ آل عمران:٤٩.

يقول ابن كثير: (قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار وحيرت كل سحّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار، انقادوا للإسلام، وصاروا من عباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذي شرّع الشريعة)[١].

ويقول ابن سعدي: (وأي آيةٍ أعظم من جعل الجماد حيواناً، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى والإخبار بالأمور الغيبية، فكل واحد من هذه الأمور آيةٌ عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدّق بعضها بعضها، فإنها موجبةٌ للإتقان، وداعيةٌ للإيمان)[٢].

و ما جاء عن المسيح عليه السلام في شفاء المرضى بإذن الله لم يُذكر على الصفة التي يدّعيها النصارى في مسحتهم، ولا بأقوالهم وأدعيتهم الشركية التي ضمّنوها إياها، ومع ذلك يزعمون أن مسحة المرضى أُسست في العهد الأول للمسيحية، مع إقرارهم بعدم معرفتهم لزمانٍ محددٍ لهذا التشريع ولا مَن مارسه!

يقول القس حبيب جرجس: (وقد مارس الرسل هذا السرّ عندما أرسلهم المسيح للكرازة[٣]، كما قال مرقس الإنجيلي: (ودهنوا بزيتٍ مرضى كثيرين فشفوهم)، وإن كنا لا نعلم الوقت الذي فيه أسّس الرب يسوع هذا السر وأمر به فلا عجب في ذلك؛ لأن أشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع لم تكتب واحدةً واحدةً، لا سيما وأننا نعلم أنه

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٣٦٥/١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن: ١٣١/١.
(٣) الكرازة من الكرْز، وهي كلمةٌ سريانيةٌ، تعني وَعَظ ونادى، وهي عندهم: الوعظُ والتبشيرُ علانيةً بالحقائق المسيحية. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١٦٢/٣، معجم الإيمان المسيحي: ٣٩٥.

كان يظهر لهم بعد قيامته مدة أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت □)[1].

وهذا إقرارٌ ظاهرٌ بعدم معرفة أصل هذا الطقس، كما هو إشعارٌ بنوعِ تحريفٍ في التشريع النصراني.

ويختلف النصارى في تحديد التاريخ الذي بدأت فيه ممارسات الطقوس المتعلقة بمسحة المرضى، فمنهم من يُرجعها إلى القرن الثالث الميلادي، ومنهم من يرجعها إلى القرن الرابع.

جاء في قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة ما نصّه: (يستحيل أن نعْيَن بكل دقةٍ التاريخَ الذي شَرَعت فيه الكنيسة تدْخر الأسرار المقدسة على الدوام لمناولة المرضى، ولكننا على ثقة أن ذلك بدأ قبل نهاية القرن الرابع، وأهم برهان على ذلك نجده في الوصف المثير الذي صوّر به القديس يوحنا الذهبي الفم، الهياج العظيم الذي ثار في القسطنطينية في سنة ٤٠٣م، عندما اندفع الجنود هاجمين إلى حيث تحفظ الذخيرة المقدسة، وشاهدوا ما هنالك، وإذا بدم المسيح الكلي القداسة يتدفق على ثيابهم)[2].

وإقرار النصارى أن بدايته إنما كانت قبل نهاية القرن الرابع دليلٌ على أنه لم يكن موجوداً بذات الطقوس والأدعية في عهد المسيح عليه السلام وتلاميذه.

يقول القس بولس الفغالي مبرراً عدم ورود تفاصيل مسحة المرضى في القرون الأولى للمسيحية: (ولن نجد لها - أي مسحة المرضى - آثاراً قبل القرن الثالث حيث ينتظم الطقس ويتكوّن.

أما الصمت بين النصّ الكتابي والقرن الثالث فلا يعني تجاهلاً لممارسة، بل يعني أن هذه الممارسة لم تطرح سؤالاً خاصاً يتطلّب جواباً في الكنيسة، فالكنيسة تعيش الأسرار بسلام، ولا تتكلّم عنها إلاّ إذا طُرح سؤال، أو برز تعليمٌ ضالّ)[3].

ويقول القس عوض سمعان: (إذا رجعنا إلى تاريخ الكنيسة، نرى أن المسيحيين في القرنين الأول والثاني كانوا يعتمدون في أمر الشفاء على صلاة الإيمان وحدها، لكن الذين أتوا بعدهم في القرن الثالث تسرّب إلى ذهنهم الظن بأن الزيت هو الذي يشفي المرضى، ومالبث هذا الظن طويلاً حتى أصبح عقيدةً لديهم)[4].

---

[1] أسرار الكنيسة السبعة: ١٢٨.

[2] قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة: ٨٠.

[3] الإيمان وسر خلاص، على الشبكة العنكبوتية:

http://www.boulosfeghali.org

[4] الكهنوت:١٢١/٣.

وقد مرّت مسحة المرضى بجملة من الممارسات لم يدلّ عليها دليل، من خلال تدرج الكنيسة عبر التاريخ، ويُمكن بيان ذلك كما يلي:

في القرن الثاني والثالث الميلادي:

كان الأساقفة والكهنة وغيرهم من عامة الناس يقومون بزيارة المرضى، ويضعون أيديهم على موضع المرض ويدعون لهم، وكانت العبارات والأدعية والطقوس متروكة لاجتهاد كل قسيس أو كاهن أو راقٍ عموماً، ولم يلتزموا في ذلك طريقةً معينةً، كما لم تكن مسحة المرضى خاصةً بالقساوسة والكهنة بل كانت لجميع النصارى.

يقول القس فيليب بيغري: (وهناك رسالة من البابا إنوقنطيوس الأول، يرقى عهدها على ٤١٦م، توضّح أنه كان لجميع المسيحيين أن يقوموا بتلك المسحة)[١].

وعند الفقرة الواردة في رسالة يعقوب من قول المسيح ـ كما يزعمون ـ: (هل فيكم مريض) يقول البابا زخيا الأول: (لاشك في أن هذا النصّ يعني المؤمنين المرضى، الذين يحق لهم أن يمسحوا بالزيت المقدس، بهذا الزيت الذي كرّسه[٢] الأسقف حتى ليس للأكليروس فحسب، بل للمسيحيين كافة أن يستعملوا المسحة إذا ما اشتد المرض عليهم أو على ذويهم)[٣].

ويقول القس بولس الفغالي: (في القرن الثالث، جاء تقليد هيبوليتس وشدّد على مباركة الزيت بيد الأسقف، إنه العنصر المركزي والحاسم.

فالمرضى يستعملون الزيت بأشكال متعدّدة: يمسحون به، يشربونه... كل مؤمن يستطيع أن يمسح مؤمناً آخر، بل أن يمسح نفسه إذا شاء، لا خادم خاصاً لهذه المسحة، وعمل الزيت يشفي ويخلّص، يدخل في ذاك الذي يلجأ بإيمان إلى قوة المسيح الذي يشفي كل مرض، ويمنح مواهب الخلاص الروحانيّة)[٤].

من القرن الرابع إلى القرن السادس:

ظهرت بعض الأدعية والصلوات التي تُقرأ على الزيت فيُعتقد معها حلول البركة في ذلك الزيت، وكان هذا الطقس في أصله يرجع إلى أحد متقدميهم وهو هيبوليتس كما

---

[١] دليل إلى عيش أسرار الكنيسة السبعة: ٢٠٤.

[٢] التكريس يأتي بمعنى التخصيص، ويأتي أيضاً بمعنى التدشين، وهو المراد هنا. انظر: معجم الإيمان المسيحي: ١٥٢، معجم المصطلحات الكنسية: ٢٢١/١.

[٣] الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٢٦٦.

[٤] الإيمان وسر خلاص، على الشبكة العنكبوتية:

http://www.boulosfeghali.org

تقدم، وفي القرن الخامس تأثروا بصلاة أُخرى كان الرومان يستعملونها في مسحتهم[1]، وظلّت مسحة المرضى على هذا الوضع حتى القرن السابع.

في القرن السابع:

دخلت مسحة المرضى ترتيباً جديداً لم يكن معروفاً من قبل، وهو اختصاص الكاهن بها دون غيره، وتأجيلها ـ عند بعض طوائفهم ـ إلى مرض الوفاة.

يقول القس فيليب بيغري: (انطلاقاً من القرن السابع أخذت رتبة مسحة المرضى تتنظّم، ولاسيما في الوسط الرهباني، ولقد أُثّر في الرتبة المعدّة للمؤمنين وحدهم بأمرين:

١. انتقل التشديد من طلب الشفاء إلى عمل توبة، فنتج تغييرٌ حملَ تأجيل السّر إلى الساعة الأخيرة قبل الموت، فأصبحت مسحة المرضى المسحة الأخيرة[2].

٢. فقد المؤمنون حق منح المسحة، وحُصرت في الكهنة)[3].

في القرن التاسع:

عُقد مجمع بافيا وأُقرّت فيه سرّية الزيت المستخدم في مسحة المرضى، وأنه يُطهّر أيضاً من الخطايا والآثام، ولذلك بالغ بعض رجال الدين النصارى بتخصيص دهنه للمشرفين على الموت، حتى ينطلق هؤلاء إلى العالم الآخر أطهاراً أنقياء ـ حسب اعتقادهم ـ [4]!!.

في القرن العاشر:

شُدّد على بعض الطقوس ذات الصلة بمسحة المرضى أكثر من المسحة ذاتها، ومن ذلك التأكيد على وجود الزيت والمسح به، كما أقروا حصر وقصر أداء المسحة على الكهنة والقساوسة[5].

في القرن الثالث عشر:

عمَد الكاثوليك من النصارى إلى الاختصار في أداء المسحة لكونها إنما تليق بمن به مرض الوفاة، وهم ـ كما تقدم ـ يُسمونها المسحة الأخيرة، وبقي الأرثوذكس على طقوسهم وتشريعهم[6].

---

[1] انظر: الكنيسة أسرارها وطقوسها: ٢٦٥ـ٢٦٦.

[2] على اعتبار أنه كاثوليكي، وقد سبق أن الكاثوليكية يُسمون مسحة المرضى بالمسحة الأخيرة.

[3] دليل إلى عيش أسرار الكنيسة السبعة:٢٠٤.

[4] انظر: الكهنوت :١٢١/٣.

[5] انظر: الإيمان وسر خلاص، على الشبكة العنكبوتية:
http://www.boulosfeghali.org

[6] دليل إلى عيش أسرار الكنيسة السبعة:٢٠٤.

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (في التقليد الليترجي[1] شرقاً وغرباً، نجد منذ القدم شهاداتٍ تُثبت استعمال الزيت المقدس لمسح المرضى، وعلى توالي القرون أخذت الكنيسة تقصر مسحة المرضى أكثر فأكثر على المشرفين على الموت، ولذا سميت بالمسحة الأخيرة)[2].

في القرن الخامس عشر:

نشر البابا بولس الخامس كتاب الطقوس الرومانية عرَض فيه جملةً من الأدعية والصلوات التي ينبغي أن تُقال في مسحة المرضى، ولم تكن موجودة قبل ذلك.

في القرن السادس عشر:

أقرّ المجمع التريدنتيني في جلسته الرابعة عشر إضافة مسحة المرضى إلى سرّ التوبة، ومما جاء فيه: (لقد استحسن المجمع المقدس أن يُضيف إلى التعليم السابق في التوبة ما يلي في موضوع سرّ مسحة المرضى، الذي رأى الآباء أنه إتمام ليس لسرّ التوبة وحسب، بل لكل الحياة المسيحية أيضاً)[3].

ولما كان الكاثوليك قد جعلوا من مسحة المرضى مرحلةً أخيرةً لمن تُظن وفاته؛ فقد كان لذلك أثره السلبي على نفوس مرضاهم الذين يأملون بالشفاء، فقد كانت المسحة صادمةً لهم.

في القرن العشرين:

نتيجةً لما خلفته المسحة الأخيرة من صدمة في نفوس مرضى الكاثوليك من إشعار بدنو الإجل، قرر المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين عدم اختصاص مسحةً المرضى بمرض الوفاة، وقد تضمنت توصيات المجمع استحقاق كل مريض للمسحة، مع التأكيد عليها حال المرض الخطير، ومما جاء فيه: (ومن المقرر أيضاً أن تُعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطر شديد)[4].

وهكذا بتأمل التحولات التي مرّت بها مسحة المرضى نجد أنّ ما انتهت إليه من طقوس وإضافات لم تكن موجودة في عهد المسيح ولا تلاميذه، وإنما هي من ابتداع النصارى ومجامعهم على مرّ الزمان، وليس ذلك بمستغرب على النصارى فلم تكن هذه أولى ولا أعظم تحريفاتهم.

---

[1] كلمة يونانية تعني الخدمة العامة أو الوظيفة، وقد استعمل النصارى هذه الكلمة للدلالة على القيام بالعمل الكهنوتي في الجملة. **انظر:** معجم الإيمان المسيحي:٤٢١.

[2] التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٢-٤٥٣.

[3] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٩.

[4] الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٠.

المطلب الثالث : أدلة مسحة المرضى في المسيحية

يستدل النصارى على أصل مسحة المرضى في دينهم بما ورد في كتابهم المقدس، وأقوال قديسيهم ومتقدميهم، ويُلحظ أن الاستدلال إنما هو على أصل الطقس، وليس على تفاصيل ما يُفعل أو يقال أثناء أداء المسحة، ويُمكن إجمال ما يستدل به النصارى على مسألة المسحة بما يلي:

١. جاء في متى نقلاً عن المسيح أنه: (دعا تلاميذه الاثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على أرواحٍ نجسةٍ حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف.. أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السماوات، اشفوا مرضى، طهّروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطين، مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا)[١]، يقول القس بيشوي حلمي: (وقد أسس السيد المسيح هذا السر، عندما أرسل تلاميذه للخدمة وقال لهم: اشفوا مرضى، طهروا برصاً..) [٢].

٢. جاء في مرقص: (فخرجوا، وصاروا يكرزون أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرة، ودهنوا بزيتٍ مرضى كثيرين فشفوهم)[٣]، يقول القس بيشوي حلمي: (ونفّذ الرسل أوامر معلمهم - يعني المسيح - فخرجوا وصاروا يكرزون..) [٤].

٣. جاء في مرقص أيضاً: (وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يُخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون) [٥].

٤. جاء في لوقا: (وأيةُ مدينةٍ دخلتموها وقَبلوكم، فكلوا مما يقدم لكم، واشفوا المرضى الذين فيها، وقولوا لهم: قد اقترب منكم ملكوت)[٦].

٥. جاء في رسالة يعقوب: (أمريضٌ أحدٌ بينكم فليدع شيوخ الكنيسة، فيصلوا عليه، ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي

---

[١] متى: ١٠/١-٨.
[٢] عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٣٤.
[٣] مرقص: ٦/١٢-١٣.
[٤] عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية: ٣٣٤.
[٥] مرقص: ٦/١٧-١٨.
[٦] لوقا: ١٠/٨-٩.

المريض والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطيةً تغفر له، اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض، لكي تشفوا)[1]، يقول القس حبيب جرجس: (فمن هذا القول يتضح أن هذا السرّ مؤسس من الله، وأن فعله سري، فإن يعقوب الرسول يكتب إلى مؤمني عصره مشيراً إلى شيء معروف، وواسطة شفائية معلومة لديهم، ويحثهم على استعمالها عند المرض)[2].

٦. يقول القديس أوريجانوس (٢٥٤م) عند تعداد وسائط الغفران: (توجد واسطة سابعةٌ أيضاً لغفران الخطايا لكنها قاسية وصعبة، وهي الغفران بالتوبة حين يبل الخاطئ فراشه بدموعه، وتصير له الدموع خبزاً نهاراً وليلاً.. وصلاة الإيمان تُخلص المريض، وإن كان مرتكباً خطايا تُغفر له)[3].

٧. نُقل عن القديس باسيليوس الكبير (٣٧٩م) في القانون (١٠٣) من قوانينه الكنسية أن صلاة القنديل كانت معروفة منذ القدم[4].

٨. يقول القديس كيرلس الأورشليمي (٣٨٦م) وهو يحارب السحر: (أما أنت فإذا كنت موجعاً في أجزاء جسدك، وآمنت بالحقيقة أن دعاءك باسم رب الصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التي ينسبها الكتاب الإلهى لله بحسب طبيعته تحل مصيبتك، فصل هذه الكلمات، وادع بها عن نفسك، لأنك تعمل عملاً أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر، إذا كنت تقدم المجد لله لا للأرواح النجسة، وإنني لمتذكر الكتاب الإلهي حيث يقول: (أمريض أحدٌ بينكم فليدع..))[5].

٩. يقول القديس غريغوريوس الكبير (٣٩٠م) لأحد أتباعه: (فلتسكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكي تُشفى بتتميم هذا السرّ، وبمسحة الزيت المقدسة، وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس وتعود إلى الصحة التامة)[6].

١٠. يقول القديس يوحنا ذهبي الفم (٤٠٧م): (أولئك الوالدون لا يستطيعون أن ينقذونا من الموت الجسدي، ولا أن يزيلوا مرضاً يتسلط علينا، وأما هؤلاء الكهنة فكثيراً ما خلصوا نفساً مريضة، وقريبة من الهلاك وجعلوا عذاب البعض خفيفاً جداً.. لأنه يقول: أمريض أحد بينكم

---

(١) رسالة يعقوب: ٥/١٤-١٦.
(٢) أسرار الكنيسة السبعة:١٢٨.
(٣) أسرار الكنيسة السبعة:١٣١.
(٤) انظر: عقائدنا المسيحية الأرثوكسية:٣٣٥.
(٥) أسرار الكنيسة السبعة:١٣٢.
(٦) عقائدنا المسيحية الأرثوكسية:٣٣٥.

فليدع قسوس الكنيسة، فيصلوا عليه ويدهنوه بزيتٍ باسم الرب)[1].

١١. يقول المؤرّخ موسيهم: (إن المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضاً خطيراً، كانوا يدعون شيوخ الكنيسة أي القسوس والأساقفة، وبعد أن يعترف المريض بخطاياه، يستودعه الشيوخ الله بالتضرعات الخشوعية، ويدهنونه بالزيت)[2].

١٢. ادعائهم إجماع الكنائس على هذا التشريع - على اختلاف بينها في تفاصيله[3]- مما يجعلهم يقطعون بكونه منزلاً وتشريعاً سماوياً، يقول القس حبيب جرجس بعد ذِكره جملةً من الأدلة: (إن جميع الكنائس شرقاً وغرباً متفقة على حقيقة هذا السرّ[4]، وهذا الاتفاق العام برهان قاطعٌ على أن مسحة المرضى سرٌ من أسرار الكنيسة، مسلمٌ لها منذ الأزمنة الرسولية، فإن الكنائس مع اختلافها في أمورٍ كثيرة لم تختلف في هذا السرّ)[5].

وقوله بعدم الخلاف بين الكنائس في مسحة المرضى غير صحيح، وسيأتي بيان اختلافهم فيها إلى حد التباين.

هذه جملة من الأقوال والاستدلالات التي يستشهد بها النصارى على معتقدهم في مسحة المرضى، وهي متنوعةٌ بين كتابهم المقدس وأقوال قديسيهم ومتقدميهم، وبالتتبع لا نجد من بين تلك الأدلة ما يشهد على طقوسهم التي تحف بالمسحة، ولا بما يقترن بها من شركيات.

---

(١) أسرار الكنيسة السبعة:١٣١.

(٢) أسرار الكنيسة السبعة:١٣٣.

(٣) كما سيأتي عند البروتستانت فأحسن أحوالها عندهم القول بإباحتها لا أنها مشروعة.

(٤) تقدمت الإشارة إلى أنه ليست كل فرق النصارى تنظر إلى المسحة على أنها سرٌ مقدس، وسيأتي في المبحث التالي تفصيل لذلك.

(٥) أسرار الكنيسة السبعة:١٣٣.

المطلب الرابع : موقف الكاثوليك من مسحة المرضى

يؤمن النصارى الكاثوليك بأهمية أعمال مسحة المرضى ومكانتها عند الكاثوليك في التعليم المسيحي للكاثوليك أنه (بالمسحة المقدسة المقرونة بصلاة الكهنة؛ الكنيسة كلها تشفع بالمرضى لدى الرب الذي تألم وتمجّد ليُعزيهم ويخلّصهم، وتحثهم على أفضل من ذلك أن يشتركوا اشتراكاً طوعياً في آلام المسيح وموته، فيؤدوا بذلك قسطهم فيما يعود على شعب الله بالخير)[1].

ويُرجعون أهميتها ومكانتها من دينهم لجملة من الأمور، يُمكن إجمالها في التالي:

١. أنها من نِعم الروح القدس عليهم، يجود بها على من يشاء ليستعينوا بها على مواجهة الأمراض والمخاطر الصحيّة، جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية ما نصه: (إن الروح القدس يجود على البعض بموهبة شفاء خاصة، ليعلن قوة النعمة الصادرة عن القائم من بين الأموات، ولكن أحرّ الصلوات قد لا تؤدي أحياناً إلى شفاء كل الأمراض)[2]، وفي وثائق الكنيسة الكاثوليكية ما نصّه: (فالحقيقة هي نعمة الروح القدس هذه التي تمحو مسْحَتُها الخطايا، إذا كان هنالك خطايا تحتاج إلى التكفير عنها، كما تمحو عواقب الخطايا، وهي تريح وتقوّي نفس المريض، باعثةً فيه الثقة في الرحمة الإلهية.

والمريض وقد أنعشته هذه النعمة، يكون من الأيسر عليه تحمّل مشقّات المرض وآلامه، كما يكون من جهةٍ أخرى من الأيسر عليه مقاومة تجارب إبليس الذي يحاول أن يرصد عقبه، وقد يعمل هذا السرّ على شفاء الجسد إذا كان ذلك مفيداً لخلاص النفس)[3]، وفيها أيضاً: (المسحةُ تمثّل تماماً نعمة الروح القدس التي يمسح بها المريض بطريقة غير مرئية)[4].

ولذا فإن التساهل في أمرها ـ عندهم ـ هو امتهانٌ للروح القدس، جاء في وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (والكنيسة الرومانية[5] **الأم والمعلمة** لسائر الكنائس، بمنحها هذه المسحة لا تذهب مذهباً آخر فيما يتعلق بجوهر هذا السرّ، غير ما رسمه القديس يعقوب، ولا يمكن ازدراء مثل

---

(١) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٤٩.
(٢) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥١.
(٣) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٠-٤٣١.
(٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٠.
(٥) أي الكاثوليكية.

هذا السرّ العظيم بدون خطأ جسيم، وبدون إهانة الروح القدس نفسه)[1].

٢. يعتقد النصارى أنه بإتمام هذه المسحة يتّحد المسيحي بآلام المسيح، جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (بنعمة هذا السرّ يتلقى المريض من القوة والموهبة ما يُمكّنه من الاتحاد بآلام المسيح اتحاداً أوثق، فهو مكرّسٌ نوعاً ما ليؤتي ثمراً بتشبهه بآلام المُخلّص الفادية، فالعذاب الذي ينجم عن الخطيئة الأصلية يكتسب معنى جديداً، ويُصبح اشتراكاً في عمل يسوع الخلاصي)[2]، وفي وثائق الكنيسة الكاثوليكية ما نصّه: (وأما بالمسحة المقدسة المقرونة بصلاة الكهنة فالكنيسة بأسرها تشفعُ في المرضى لدى الرب المتألم والممجّد، ليُعزيهم ويُخلّصهم، وإلى ذلك تحرّضهم على الإسهام بالاشتراك التلقائي في آلام المسيح وموته فيما يعود على شعب الله بالخير)[3].

٣. يعتقد الكاثوليك أن هذه المسحة تُمثّل نعمةً كنسيةً، جاء في التعليم المسيحي الكاثوليكي: (المرضى الذين يَقْبلون هذا السّر باشتراكهم الطوعي في آلام المسيح وموته، يؤدون قسطهم فيما يعود على شعب الله بالخير.

إن الكنيسة باحتفالها بهذا السر في شركة القديسين تشفع إلى الله لخير المريض، كما أن المريض يساهم هو أيضاً بنعمة هذا السّر في تقديس الكنيسة، وخير كل الذين تتألم الكنيسة لأجلهم، وتقرّب ذاتها بالمسيح على □ الآب)[4]، ويُرتب على منكر كونها نعمةً أو نفعها للمريض أو أنها سرّ مقدس؛ الحرمان من الكنيسة.

في وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (**إذا قال أحدٌ إن مسحة المرضى المقدسة لا تعطي النعمة، ولا تغفر الخطايا**، ولا تُريح المرضى، وهي غير موجودة، وكأني بها كانت في الماضي موهبة شفاء المرضى؛ فليكن محروماً)[5]، وجاء أيضاً: (إذا قال أحدٌ إن مسحة المرضى ليست في الحقيقة سرّاً وضعه سيدنا المسيح، وأعلنه الرسول يعقوب، ولكنه طقس تناقله الآباء، أو اختلاق بشري؛ فليكن محروماً)[6].

٤. أنها تُهيئ وتُعد صاحبها للانتقال الأخير (**الوفاة**)، جاء في التعليم

---

(1) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٢.
(2) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٥.
(3) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٩٣٥.
(4) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٥.
(5) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٥.
(6) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٥.

المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (لئن كان سرّ مسحة المرضى يُمنح لجميع الذين يُعانون من أمراضٍ وأسقام ثقيلة، فهو يُمنح بأولى حجة للمشرفين على النزوح من هذه الحياة، مما دفع إلى تسميته أيضاً بسر المنتقلين، إن مسحة المرضى تُتمم شَبَهنا بموت المسيح وقيامته، كما ابتدأت المعمودية بذلك، وتُتوج المسحات المقدسة التي تتخلل مختلف مراحل الحياة المسيحية.. وأما المسحة الأخيرة فتُحصّن نهاية حياتنا الأرضية بسور متين، تأهباً للصراعات الأخيرة قبل دخولنا بيت الآب)[1]، وفي وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (ومن المقرر أيضاً أن تُعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطر شديدٍ يُنذر بنهاية الحياة، ولهذا دُعي هذا السرّ أيضاً سرّ المائتين[2]، وإذا تعافى المرضى بعد هذه المسحة، كان من الممكن أن يُعطوه كلما هدد خطرُ الموت حياتهم، فيجدوا فيه عوناً وسنداً)[3].

ولهذه المكانة العظيمة التي تحتلها مسحة المرضى عند الكاثوليك جعلوها سرّاً من أسرارهم السبعة، جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (إن الكنيسة تؤمن وتعترف بوجود سرّ من الأسرار السبعة، يهدف خصوصاً إلى مساندة المبتلين بالمرض، وهو مسحة المرضى، هذه المسحة المقدسة قد وضعها المسيح ربنا سراً من أسرار العهد الجديد بالمعنى الجديد والحصري، وقد ألمح إليه مرقس، وأعلنه يعقوب الرسول أخو الرب، وأوصى به المؤمنين)[4].

وفي وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (هذه المسحة المقدسة للمرضى، وضَعَها سيدنا المسيح سرّاً حقيقياً من أسرار العهد الجديد، هذا السرّ أُشير إليه في مرقس، وقد أوصى به وأعلنه يعقوب الرسول وأخو الرب)[5].

ويقول القس فيليب بيغري: (إذا صحّ أن كل سرّ كنسي يكشف لنا جزءاً من وجه الله الذي يتجلى في يسوع الناصري، وجب القول بأن ذلك الجزء هو مزدوج في سرّ المرضى)[6].

خادمُ مسحة المرضى ووقت أدائها:

---

(1) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٥-٤٥٦.
(2) من الموت.
(3) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣١.
(4) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٢.
(5) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٠.
(6) دليل إلى عيش أسرار الكنيسة السبعة:٢٠٣.

يعتقد النصارى الكاثوليك أن أداء المسحة حقٌ للكهنة والقساوسة دون غيرهم من عامة الناس، فلا يجوز أن يقوم بها غيرهم.

جاء في التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: (الأساقفة والكهنة هم وحدهم خَدَمَةُ سر مسحة المرضى، وواجب الرعاة أن يحيطوا المؤمنين علماً بفوائد هذا السرّ، وليحثّ المؤمنون المرضى على أن يستدعوا الكاهن ليقبلوا هذا السر، وليستعد المرضى لقبوله بحسن التأهب بمعاونة رعاتهم، وكل الجماعة الكنسية المدعوة إلى أن تحيط المرضى إحاطة خاصة جداً بصلواتها والتفاتاتها الأخوية)[1].

وفي التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين أن: (خادم سر مسحة المرضى الحقيقي هو بحسب المجمع التريدنتيني الكاهن، فمهمة الكاهن المختص تقوم في إعداد المرضى ومن يعيش معهم بمؤازرة الإكليروس[2] والعلمانيين لتقبل السر، فعليه أن يُهيء الاحتفال بمسحة المرضى مع المريض ومن يعيش معه، ويساعدهم على أن يفهموا السرّ فهماً أعمق)[3].

ولا يُشترط في الكهنة والقسوس رتبةً معينة من رتب الإكليروس، ففي وثائق الكنيسة الكاثوليكية جاء النص على قبول مسحة كل من تقلّد منصباً كنسياً: (إن خادمي هذا السر هم الشيوخ في الكنيسة، والمراد بهذا الاسم لا الأكبر سنّاً، ولا الأرفع رتبةً في الشعب، بل الأساقفة أو الكهنة الذين نالوا من الأساقفة رسامةً شرعية)[4].

ومن يخالف في جعل المسحة حقاً للكهنة ورجال الأكليروس يُطرد من الكنيسة، جاء في وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (إذا قال أحدٌ إن شيوخ الكنيسة الذين طلب القديس يعقوب استدعاءهم لمسح المريض بالزيت، ليسوا كهنة رسمهم الأسقف، ولكنهم المقدمون في السن ضمن كل جماعة، ومن ثم فخادم سرّ مسحة المرضى في الحقيقة ليس الكاهن وحده، فليكن محروماً)[5].

وأما وقت أداءِ المسحة وإعطائها للمريض فالمختار عند الكاثوليك في السابق أنها تُعطى لمن به مرض الموت، أو أشرف عليه، ثم قرر المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين عدم اختصاص مسحة المرضى بمرض الوفاة، وأصبح النصارى

---

(1) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية:٤٥٤.

(2) أصل هذه الكلمة يوناني، وهي تعني حرفياً: ميراث، وهم يطلقونها على الرجال الذين اختارهم الرب، وأورثهم منه نصيباً، على حد زعمهم. انظر: معجم المصطلحات الكنسية: ١١٧-١١٨.

(3) المسيحية في عقائدها:٤٢٩.

(4) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣١.

(5) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها:٤٣٥.

الكاثوليك يقولون بإعطاء المريض هذا السرّ في المرض العادي، **ولكن كلما كان** مرضه أقرب لمرض الوفاة كان أولى بتلك المسحة.
جاء في وثائق الكنيسة الكاثوليكية: (ومن المقرر أيضاً أن تُعطى هذه المسحة للمرضى، ولا سيما أولئك الذين هم في خطر شديد يُنذر بنهاية الحياة.. **وإذا تعافى** المرضى بعد هذه المسحة، كان من الممكن أن يُعطَوه كلما هدد خطرُ الموت حياتهم، فيجدوا فيه عوناً وسنداً)[1].
وجاء في التعليم المسيحي الكاثوليكي للبالغين: (منذ التجديد الليترجي الذي عقب المجمع، لم تعد مسحة المرضى بوجه اعتيادي جزءاً من "الزاد الأخير" للمشرفين على الموت، بل أُدرجت في سياق عيادة المرضى بحسب روح الإنجيل، والعناية الروحية بالمرضى، والذين يُعطون هذا السرّ هم المؤمنون الذين يوجدون بسبب مرضٍ ثقيل أو الضعف الناتج عن الشيخوخة في وضعٍ صحيٍ يبدأ بتهديد حياتهم)[2].

كيفية أداء مسحة المرضى عند الكاثوليك:

ما ورد عن النصارى الكاثوليك في كيفية عمل المسحة جاء بطريق الإجمال دون التفصيل، وهم في ذلك يقومون بجملة من الأدعية والصلوات يعتقدون معها أن المسيح يحضر ويشارك المريض في آلامه.
جاء في التعليم المسيحي للكاثوليك: (هذه المهمة ـ أي مهمة علاج المرضى ـ تلقتها الكنيسة من الرب، وتسعى إلى تحقيقها بكل ما توفره للمرضى من وسائل العناية، وما ترافقهم به من أدعية وتشفّعات، إنها تؤمن بحضور المسيح الحي، طبيب النفوس والأجساد، هذا الحضور يَفْعَلُ فِعْلَهُ بطريقةٍ خاصة عبر الأسرار)[3].
وتستخدم الكنيسة الكاثوليكية طريقة خاصةً في مسحتها للمرضى[4]، تدور أدواتها حول الريق ووضع اليدين حول مكان المرض، واستخدام الطين والغُسل.
جاء في التعليم المسيحي للكاثوليك: (كثيراً ما كان يسوع يطلب الإيمان من المرضى، ويستعين بوسائل حسية للشفاء: الريق ووضع اليدين والطين والغسل، وكان المرضى يحاولون أن يلمسوه، لأن قوةً كانت تخرج منه، وتُبرئ الجميع، هكذا لا يزال المسيح يمسنا بواسطة الأسرار ليشفينا)[5].

---

(1) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها: ٤٣١.
(2) المسيحية في عقائدها: ٤٢٨.
(3) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: ٤٥٢.
(4) انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: ٤٥٢.
(5) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية: ٤٥٠-٤٥١.

ويقوم الكاهن حال قراءته بمسح جبين المريض ويديه بزيتٍ قد قُدِّس ـ في زعمهم ـ بطقسٍ معينٍ، ثم يقرأ الكاهن هذا الدعاء: (ليؤازرك الرب بهذه المسحة المقدسة في رحمتِه الغنيّة، وليقف إلى جانبك بقدرة روحه القدوس، وليخلصك الرب محرراً إياك من خطاياك، ومنهضاً إياك بنعمته)[1].

هذا مجمل ما ورد في كيفية عمل المسحة من الكاهن للمريض، وفقاً للمصادر الأصلية للكنيسة الكاثوليكية.

([1]) المسيحية في عقائدها:٤٢٨.

المطلب الخامس : موقف الأرثوذكس من مسحة المرضى

يتفق النصارى الأرثوذكس مع الكاثوليك في الطقوس وفي أهمية المسحة عند الأرثوذكس ومكانتها من الدين، وهي عندهم ـ كما عند الكاثوليك ـ سرٌ من الأسرار السبعة المقدسة.

يقول علامتهم ابن سباع: (صلاة القنديل أو المسحة المقدسة هي سرٌ من أسرار الكنيسة السبعة، ومأمورٌ بها بفم الله على لسان يعقوب الرسول)[1].

ويقول الأنبا غريغريوس: (سر مسحة المرضى، ويُسمى أيضاً سرّ الزيت المقدس، أو سرّ القنديل من بين أسرار الكنيسة، ومن مواهب الروح القدس فيها، القائمة على استحقاقات دم المسيح الفادي، وعمله الكفّاري، يُمارسه الكهنة للمرضى بالأمراض الجسدانيةٍ المتسببةٍ عن عللٍ روحيةٍ ونفسيّةٍ بالصلاةِ على الزيت، فيتقدس باستدعاء الروح القدس، ثم يمسحونهم بالزيت المقدس لشفائهم روحاً وجسداً)[2].

١. أنها يُمكن اعتمادها كأهم وسيلة للشفاء من الأمراض الجسدية، وهي سببٌ لتقوية المريض وتصبيره على مرضه، يقول القس حبيب جرجس: (وقد يكون هذا السرّ سبب تعزيةٍ وقوةٍ لكثيرين في احتمال أوجاعهم، وأما الذين لا يحصلون على نفع هذا السّر؛ فعدم انتفاعهم ناشئٌ إما من عدم استحقاقهم، وإما لعدم إيمانهم)[3].
٢. أنها الطريقُ الأكمل أيضاً للشفاء من الأمراض الروحية، ولذا فإنهم يفترضون فيمن يتقدم لطلب هذا السّر أن يكون مؤمناً كامل الإيمان، يقول القس بيشوي حلمي: (لكي يستفيد المريض من السر، يجب أن يعترف على الكاهن أولاً قبل ممارسة السر، وينبغي له أن يتناول من الإفخارستيا[4] **بعد إتمام السر**.. أي أن المريض يُمارس ثلاثة أسرار كلها تساعده على الشفاء الروحي والجسدي)[5].

خادمُ مسحة المرضى ووقت أدائها:

يعتقد النصارى الأرثوذكس ـ كما هو رأي الكاثوليك ـ أن مسحة المرضى حقٌ للكهنة والقساوسة دون غيرهم من عامة الناس ، ولذا لا يجوز أن يقوم بالمسحة سواهم.

---

(١) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة:١٥٨.
(٢) اللاهوت العقيدي: ٥٥٤.
(٣) أسرار الكنيسة السبعة:١٣٥.
(٤) الإفخارستيا كلمةٌ يونانيةٌ تعني الشكر، لذا يُسمى هذا السرُ سر الشكر وسر التناول، ويُمثل سر الإفخارستيا أحد الطقوس والأسرار المقدسة عند النصارى، ويتم في هذا الطقس أكلُ الخبز وشربُ الخمر. انظر: أسرار الكنيسة السبعة: ٦٢-٦٥، معجم المصطلحات الكنسية: ١٠٩/١، أسرار الكنيسة السبعة: ٦٢، كنيستي الأرثوذكسية: ١٠٨.
(٥) عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية:٣٣٥.

يقول القمص ميخائيل مينا: (خادم سر المسحة هو كاهن الكنيسة، حسب طلب الرسول يعقوب)[1]، ويقول القمص يوحنا سلامه: (يتم سر المسحة في الكنيسة منذ العصر الرسولي للمريض بواسطة الكهنة، بحسب قول الرسول)[2].
وكانت الكنيسة الأرثوذكسية قديماً تشترط وجود سبعة من الكهنة لإتمام هذا السر، ولكنها تنازلت عن هذا في الوقت الحاضر.
يقول القس حبيب جرجس: (كانت العادة قديماً تتميم هذا السر بواسطة سبعة قسوس، ولكن بما أن الرسول لم يحدد عدد الذين يتممونه، وبما أن العدد ليس من الأمور المحتملة في الكنيسة؛ فيمكن أن يُتمم بأي عددٍ أقل من السبعة إلى الثلاثة أو الواحد بحسب الظروف)[3].
وأما وقت أداء مسحة المرضى؛ فإن الأرثوذكس يقرنون المسحة بالمرض، فمتى وجد المرض شُرع معه المسحة، ولا يُعطى لغير المرضى.
يقول القمص يوحنا سلامه: (تُعلّم الكنيسة أن تتميم هذا السر يكون للمريض فقط بأي مرضٍ كان، حسب قول الرسول: "أمريضٌ أحد بينكم" فالسر إذاً خاص بالمرضى دون غيرهم)[4]، ويقول القس متى مرجان: (لقد أوجب الكتاب المقدس استدعاء الكاهن ليمسح المريض بالزيت المقدس كلما أُصيب بمرضٍ ما)[5].

كيفية أداء مسحة المرضى عند الأرثوذكس:

يتّبع النصارى الأرثوذكس طقساً خاصاً بهم في إتمام مسحة المريض، يشتمل ذلك الطقس على سبع صلوات، ويقترن بهذه الصلوات جملة من الطقوس التي يطول سردها.
وقد أجمل علاّمتهم ابن كبر ذلك بقوله: (صلاة مسحة المرضى؛ وتتم في مكان المريض، وتضم سبع صلوات، وتُضاء سبع فتائل في قنديلِ زيتٍ بالتتابع، مع كل صلاة، ومع كل صلاة الشكر ورفع البخور، وتُقرأ الصلوات الموجودة بالكتب والأواشي[6] مع كل صلاة، والقراءات من الرسائل والإنجيل إلى أن تكمل الصلاة

---

(1) موسوعة علم اللاهوت:٢٦٧.
(2) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٨٩/٢.
(3) أسرار الكنيسة السبعة:١٣٥.
(4) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:٢/ ١٧٧.
(5) أرثوذكسيتي:١٥٨.
(6) الأواشي أصلها كلمة يونانية، وتعني الطلب والدعاء، انظر: معجم مصطلحات الكنيسة:١٣٤/١.

السابعة، ويضع الكاهن الإنجيل على رأس المريض، ثم يُدهن بالزيت وإلى كمال سبعة أيام)[1].

وقد أورد القمص يوحنا سلامه تفاصيلها، وذكر أنها بتلك التفاصيل تعود إلى أحد قديسيهم ويُدعى أبيفانوس.

ومما ورد فيها: أن الكاهن يصلي سبع صلوات، ويبدأ صلاته برشم[2] الصليب، ويقول: باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.. آمين.

ويؤكدون أنه لكي تكون الصلاة مقبولة، فلابد من افتتاحها باسم **الثالوث القدس** ورشم علامة الصليب على الوجه[3]، ثم يضعون بخوراً في مجمرة ليكون خروج الدخان وصعوده لأعلى بمثابة صعود المسيح الفادي في اعتقادهم، ويحرق مع هذا البخور لبانٌ بشيء من النار، وهذا يُشير إلى آلام المسيح واحتماله الموت لأجل الخلاص كما في أصول معتقدهم.

وهم في ذلك يؤكدون على أن رفع الصلاة إنما يكون للمسيح، يقول القمص يوحنا سلامه: (أما أوشية المرضى فهي صلاةٌ ترفعها الكنيسة إلى الرب يسوع، طبيب **النفوس والأجساد، ومانح الشفاء للمرضى**)[4].

بعد ذلك يوقد الكاهن فتيلة ويقول: (**نورٌ كائنٌ في النور، وملائكة النور** يُسبحونه، نسجد لك أيها المسيح إلهنا..)[5]، والكاهن يتلوها وقت إيقاد السرج للإشارة، ثم يوقدون السرج بالزيت.

وعندهم إيقاد الفتائل إشارة رمزية لحضور المسيح ومشاركته إياهم في هذا **القداس**[6]، ويعتقدون أنه في هذه الأنوار إشارةٌ أيضاً إلى الروح القدس وحضوره وفعله في القلب، كما يعتقدون في هذه الأنوار أنها إشارة إلى المسيح الذي يُمثّل عندهم نور العالم[7]، وبعد انتهاء الكاهن من الأدعية والصلوات يبدأ بدهن المريض بالزيت على شكل الصليب[8].

---

(1) مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة:٢٦٤.

(2) **الرشم** هو الأثر، وهو الإشارة بالأصبع أو اليد أو الصليب على هيئة الصليب، من أعلى إلى أسفل، ومن اليمين إلى الشمال. **انظر**: معجم المصطلحات الكنسية: ٢/١٣٠-١٣١.

(3) **انظر**: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٥/٢.

(4) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٦/٢.

(5) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٨/٢.

(6) **انظر**: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٨/٢.

(7) **انظر**: اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٩/٢.

(8) اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة:١٩٨/٢.

هذا مجمل ما ورد في كيفية عمل مسحة المرضى من الكاهن للمريض، وفقاً للمصادر الأصلية للكنيسة الأرثوذكسية، وقد أعرضت عن كثير من تفاصيلها رغبةً في الاختصار.

المطلب السادس : موقف البروتستانت من مسحة المرضى

يختلف النصارى البروتستانت عن النصارى الأرثوذكس والكاثوليك في نظرتهم للمسحة؛ فبينما يجعل الأرثوذكس والكاثوليك المسحة سرّاً من الأسرار السبعة، ويُهيلون عليها شيئاً من القداسة؛ نجدُ البروتستانت يرفضون ذلك، ولا يرون شيئاً يستحق أن يكون سرّاً مقدساً إلا ما دلّ عليه كتابهم، مما وضعه المسيح، وعلى هذا يعتقدون أن الأسرار سرّان:

١. سر المعمودية.
٢. سر العشاء الرباني.

يقول القس إنس جيمس: (السر هو رمزٌ مقدس وفيه وضع العهد المسيحي أقامه الله رأساً للدلالة على المسيح وفوائده، ولإثبات نصيبنا فيه، وأيضاً لوضع فرق ظاهر بين أعضاء الكنيسة وسائر العالم، ولأجل ربطهم بخدمة الله في المسيح حسب كلمته، وتصير الأسرار وسائط فعالة للخلاص، ليس بقوةٍ في ذاتها، ولا في خادمها، ولكن بمجرد بركة المسيح، وفعل روحه القدس في الذين يقبلون الإيمان.. وقد زاد التقليديون[١] خمسة أسرار على السرّين اللذين وضعهما المسيح، فصارت سبعة)[٢].

ويقول هاندلي مول: (والعماد والعشاء الرباني وحدهما ينطبق عليهما هذا الوصف - أي وصف الأسرار -، ولذلك فإن لهما مكانة مقدسة وحدهما)[٣].

ويقول القس هربرت لوكير: (هذان إذن العماد والعشاء الرباني هما طقسا الكنيسة، وكما أُمرنا من قبل رأس الكنيسة الرب يسوع أن نلتزم بتنفيذ هاتين الفريضتين يستحسن أن نكون متأكدين تماماً من المغزى الروحي لكل منهما، مع أننا لاحظنا أن عدد طقوس الكنيسة اثنان، إلا أن المرء قد يندهش حين يعرف أن العدد قد تراوح ما بين الاثنين والاثني عشر.. ولكن الاعتقاد بأن كل هذه الطقوس بنفس المعنى الذي نمارس به طقس العماد والعشاء الرباني يُعد على النقيض من العهد الجديد، كما أن هذه الطقوس السبعة لم يكن معترفاً بها في الكنائس الأولى، أو من قبل الآباء)[٤].

ويقول القس وليام نيفينز: (أطلقت جماعة البابا[٥] على أن الأسرار سبعة، خلافاً للكتاب الإلهي، فإنه يُعلم بوجود سرّين لا غير.

ومن أين أتت الخمسة الباقية؟ فلا أعلم على الحقيقة، غير أني أظن أنها أتت من تعليم التقليد على هذا النسق، وهو أن الرسل أنذرت بها، وتكلمت عنها، مع الذين بشّرتهم)[٦].

---

(١) تقدّم أن الأسرار سبعة عند الكاثوليك والأرثوكس معاً.
(٢) علم اللاهوت النظامي:٦٢٦-٦٢٧.
(٣) كل تعاليم الكتاب المقدس:٤٤٨.
(٤) كل تعاليم الكتاب المقدس:٤٤٨-٤٤٩.
(٥) يريد بهم الكاثوليك.
(٦) المباحث في اعتقادات بعض الكنائس:٨٩.

ثم يزيد في التفصيل بشأن المسحة، فيقول: (المسحة الأخيرة، ويقال لها غالباً مسحة المرضى، فمن أين البرهان الواضح لأجل إثبات كون هذه المسحة سرّاً؟ إنه لا يوجد برهانٌ واضحٌ في كتابه تعالى - يريد الكتاب المقدس -، ولو وُجد لآمنت به، غير أن إخوتنا جماعة البابا يذكرون ما قيل في بشارة مرقس، أنهم قد دهنوا بزيتٍ مرضى كثيرين فشفوهم، وما قاله يعقوب الرسول: أمريضٌ أحدٌ بينكم، فليدع .. ويدّعون بأنه حجةٌ قاطعةٌ في إثبات كونها سرّاً، وأما أنا فلا أرى ذلك، لأن القول الأول إخبارٌ، والثاني نصيحة، ولا ريب أن السر يقتضي أن يُرسم بصيغة الأمر تحت الحتم بقبوله)[1].

ويرى بعض البروتستانت أن ما ورد من مسحةٍ في زمن المسيح، وما جاء في كتابهم المقدس، إنما المراد به حفظ الناس وإبعادهم عن الوثنين وعلاجهم، لا أن علاج المرضى بالمسحة في نفسه مستحباً.

يقول القس ميخائيل مشاقه: (إن دهن المرضى بالزيت هو مستعمل عند الناس من الأجيال القديمة علاجاً لأمراضهم، وكان كهنة الوثنيين هم الذين يتعاطون الأعمال الطبية، كما يُستدل على ذلك من تواريخ صناعة الطب، ثم عند وضع الشريعة الموسوية قد تفوّض إلى كهنتها أيضاً بعض الأمور الطبية.. فالرسل الأطهار لكي يمنعوا الداخلين إلى الإيمان حديثاً عن الالتجاء إلى كهنة الوثنيين، أو بالحري لكي يقطعوا وسائل اتصالهم بهم استعملوا دهن مرضاهم بالزيت كعادتهم، حتى لا يلتمسوا شفاء أمراضهم من قسوس الوثنيين، وهذا واضح من نص الإنجيل.. فيعقوب الرسول قد سلك بذلك كسلوك بقية الرسل، وأوصى الشعب بأنه إذا مرض أحدهم فلا يستدعي قسوس الوثنيين، بل يستدعي قسوس الكنيسة، وهم يدهنونه بالزيت، ويصلون عليه باسم الرب، وأن صلاة الإيمان تشفي المريض ويقيمه الرب، فأوضح لهم بتعليمه ما يرفع من أفكارهم الاعتماد على الزيت، وأن يكون الاعتماد على الصلاة بالإيمان التي يقبلها الله.. فيتضح مما تقدم أن يعقوب الرسول لم تكن غايته في تعليمه أن يوضّح لهم ضرورة مسح المريض بالزيت، وأن الشفاء يكون بواسطته، بل قصده الصلاة بالإيمان)[2].

وعلى هذا ينكر البروتستانت أية طقوس تحف بمسحة المرضى كتخصيصها بزيتٍ معين أو أدعيةٍ وطقوس خاصةٍ ونحوها.

يقول القس ميخائيل مشاقة في إطار نقاشه مع قسيس كاثوليكي أنكر على البروتستانت موقفهم من المسحة: (ويلزمني الاستعلام مِّن المؤلف؛ هل أنه لا يجوز الدهن بزيت الخروع؟ حيث الرسول لم يُعيّن نوع الزيت، ومن المعلوم أن زيت الزيتون - وهو ما ينص الكاثوليك على وجوبه في مسحة المرضى - لا يوجد في جميع جهات العالم.

---

(1) المباحث في اعتقادات بعض الكنائس:٩١-٩٢.
(2) البراهين الإنجيلية ضد الباطيل البابوية:٧٢-٧٣.

ثم مع فرض أن رسل المسيح استعملوا الزيت في عمل المعجزات، فلا يكون ذلك سنداً لاستعماله من قسوس عصرنا العاجزين عن عمل المعجزات، وحيث بطلت آية الشفاء فلم يبق حاجة لاستعمال الزيت)[1].

ويقول في ردٍ عقلي على من يقول بالأسرار السبعة: (إن السيد المسيح قد تفل في عيني الأعمى لكي يُبصر، وهكذا تفل على الأرض، وصنع طيناً وطلى به عيني أعمى آخر، وأمره أن يغتسل في بركة سلوام لكي يبرأ، فلماذا قسوس الكنيسة البابوية لا يبصقون في أعين عميانهم كما فعل المسيح، ويجعلون هذه العملية سرّاً مقدّساً، ويُضيفونه إلى أسرار كنيستهم، فذلك لا يضرهم ولو زاد عمى عميهم من بصاقهم، كما لا يضرهم ثقل المرض على المريض بواسطة مسحتهم لسبب الخوف الذي يدخلونه عليه من عملياتها)[2].

وهكذا فإن موقف البروتستانت من المسحة يختلف تماماً عن موقف النصارى الآخرين، وهم بين منكر ومانع لها، وبين من ينظر لها على أنها سبب دنيويٌ لا علاقة له بالدين، فهي مَّن جملة المباحات، وهم مجمعون أن علاج الناس إنما يكون بربطهم بالإيمان وليس بسبب محسوس كمسحة المرضى ونحوها، وعلى هذا فلا يرد عندهم ما يرد عند غيرهم من النصارى، من تحديدٍ لصفات الراقي وضوابطه، ولا من يحق له طلب المسحة من عدمها.

---

(1) البراهين الإنجيلية ضد الباطيل البابوية:٧٣.
(2) البراهين الإنجيلية ضد الباطيل البابوية:٧٣.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

ففي ختام هذا البحث يمكن إجمالٌ أبرز نتائجه بما يلي:

مسحة المرضى هي سرٌ مقدس عند أغلب النصارى، به ينال المريض المؤمن شفاء أمراضه الروحية والجسدية، إذ يمسحه الكاهن بزيت مقدس، ويستمد له النعمة الإلهية، وتسمى مسحة المرضى، وسر الزيت المقدس، وسر المسحة الأخيرة.

وقد مرّت مسحة المرضى المسيحة عبر التاريخ بجملة من الممارسات والأدعية والأقوال لم يدلّ عليها دليل، ففي القرن الأول الميلادي لا يجد النصارى دليلاً على قولهم ومذهبهم في المسحة، وفي القرن الثاني والثالث الميلادي كانت الأدعية والطقوس متروكة لاجتهاد كل قسيس أو كاهن عموماً، ولم يلتزموا في ذلك طريقةً معينةً، كما لم تكن المسحة خاصة بالقساوسة والكهنة بل كانت لجميع النصارى، ومن القرن الرابع إلى القرن السادس: ابتدعوا بعض الأدعية والصلوات التي تُقرأ على الزيت فيُعتقد معها حلول البركة فيه، وفي القرن السابع: دخلت المسحة ترتيباً جديداً لم يكن معروفاً من قبل، وهو اختصاص الكاهن بالمسحة دون غيره، وتأجيل المسحة عند بعض طوائفهم إلى مرض الوفاة. وفي القرن التاسع: أُقر بسرّية الزيت المستخدم في المسحة، وأنه يُطهر أيضاً من الخطايا والآثام، وفي القرن العاشر: شُدّد على بعض الطقوس ذات الصلة بالمسحة أكثر من المسحة ذاتها، ومن ذلك التأكيد على وجود الزيت والمسح به، كما أقروا حصر وقصر أداء المسحة على الكهنة والقساوسة، وفي القرن الثالث عشر: عمد الكاثوليك من النصارى إلى الاختصار في أداء المسحة لكونها إنما تليق بمن به مرض الوفاة، وفي القرن الخامس عشر: نشر البابا بولس الخامس كتاب الطقوس الرومانية عرَض فيه جملةً من الأدعية والصلوات التي ينبغي أن تُقال في المسحة، ولم تكن موجودة قبل ذلك، وفي القرن السادس عشر: أقرّ المجمع التريدنتيني في جلسته الرابعة عشر إضافة

المسحة إلى سرّ التوبة، وفي القرن العشرين: قرر المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين عدم اختصاص المسحة بمرض الوفاة.

وهكذا نجد أنّ ما انتهت إليه المسحة عند النصارى من طقوس وإضافات لم تكن موجودة في عهد المسيح عليه السلام ولا تلاميذه، وإنما هي من ابتداع النصارى ومجامعهم على مرّ الزمان.

ويستدل النصارى على أصل مسحة المرضى في دينهم بجملة مما ورد في كتابهم المقدس، وأقوال قديسيهم ومتقدميهم، وكان الاستدلال على أصل التشريع، وليس على تفاصيل ما يُفعل أو يقال أثناء أداء المسحة.

وقد اختلف موقف النصارى من مسحة المرضى تبعاً لطوائفهم، ومجمل ذلك ما يلي:

أولاً/ الكاثوليك: يؤمن النصارى الكاثوليك بأهمية المسحة في دينهم، ويُرجعون أهميتها ومكانتها من دينهم لجملة من الأمور، فهي عندهم من نِعَم الروح القدس عليهم، يجود بها على من يشاء ليستعينوا بها على مواجهة الأمراض والمخاطر الصحّيّة، وبإتمام هذه المسحة يتّحد المسيحي بآلام المسيح، وهي عندهم تُمثّل نعمةً كنسيةً، كما أنها تُهيئ المريض للانتقال الأخير **(الوفاة)**.

ولهذه المكانة للمسحة عند الكاثوليك جعلوها سرّاً من أسرارهم السبعة، ومن أنكر كونها سرّاً مقدساً استحق الطرد والإبعاد من الكنيسة.

ويعتقد النصارى الكاثوليك أن أداء المسحة حقٌّ للكهنة والقساوسة دون غيرهم من عامة الناس، فلا يجوز أن يقوم بها غيرهم، ولا يُشترط في الكهنة والقسوس رتبةً معينة من رتب الإكليروس، ومن يخالف في جعل المسحة حقاً للكهنة ورجال الأكليروس يُطرد من الكنيسة، وكان الكاثوليك في السابق يعطون المسحة لمن به **مرض الموت، أو أشرف** عليه، ثم قرر المجمع الفاتيكاني الثاني في القرن العشرين **عدم اختصاص المسحة بمرض الوفاة**.

وأما كيفية أداء المسحة عند الكاثوليك، فما ورد عنهم جاء بطريق الإجمال دون التفصيل، وهم في ذلك يقومون بجملة من الأدعية والصلوات يعتقدون معها أن

المسيح يحضر ويشارك المريض في آلامه، ويقوم الكاهن حال قراءته بمسح جبين المريض ويديه بزيتٍ قد قُدس - في زعمهم - بطقسٍ معينٍ.

ثانياً/ الأرثوذكس: يتفق النصارى الأرثوذكس مع الكاثوليك في القول بأهمية المسحة ومكانتها من الدين، وهي عندهم - كما عند الكاثوليك - سرٌ من الأسرار السبعة المقدسة، كما أنها السبيل الأفضل والأكمل للشفاء من الأمراض الجسدية، وهي سببٌ لتقوية المريض وتصبيره على مرضه، وهي الطريقُ الأكمل أيضاً للشفاء من الأمراض الروحية.

والمسحة عندهم حقٌ للكهنة والقساوسة دون غيرهم من عامة الناس ، ولذا لا يجوز أن يقوم بالمسحة سواهم.

وأما وقت أداء مسحة المرضى؛ فإن الأرثوذكس يقرنون المسحة بالمرض، فمتى وجد المرض شُرع معه المسحة المقدسة، ولا يُعطى لغير المرضى.

ويتّبع النصارى الأرثوذكس طقساً خاصاً بهم في إتمام مسحة المريض، يشتمل ذلك الطقس على سبع صلوات، ويقترن بهذه الصلوات جملة من الطقوس التي يطول سردها.

ثالثاً/ البروتستانت: لا تُصلّى مسحة المرضى سرّاً مقدساً عند النصارى البروتستانت، لأنه لا يوجد عليها دليلٌ في كتابهم المقدس.

ويرى بعض البروتستانت أن ما ورد من مسحة في زمن المسيح، وما جاء في كتابهم المقدس، إنما المراد به حفظ الناس وإبعادهم عن الوثنين وعلاجهم، لا أن علاج المرضى بالمسحة في نفسه مستحباً.

وعلى هذا ينكر البروتستانت أية طقوس تحتف بالمسحة كتخصيصها بزيتٍ معين أو أدعيةٍ وطقوسٍ خاصةٍ ونحوها.

وفي الجملة فإن موقف البروتستانت من المسحة يختلف تماماً عن موقف النصارى الآخرين، وهم بين منكرٍ ومانع لها، وبين من ينظر لها على أنها سبب دنيويٌ لا علاقة له بالدين.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

١. أرثوذكسيتي، متى مرجان، ط١، مغاغة: مكتبة كنيسة السيدة العذراء.
٢. أسرار الكنيسة السبعة، حبيب جرجس، ط٦، القاهرة: مكتبة المحبة.
٣. الإيمان وسرّ خلاص، بولس الفغالي، نسخة إلكترونية على الشبكة العنكبوتية: http://www.boulosfeghali.org
٤. البراهين الإنجيلية ضد الأباطيل البابوية، ميخائيل مشاقه، لا يوجد رقم طبعة ولامكانها.
٥. التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، المطران يوحنا منصور وآخرون، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٩.
٦. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت:سامي بن محمد السلامة،ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٨. الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، يوحنا بن زكريا ابن سباع، تحقيق: ميخائيل إسكندر.
٩. دليل إلى عيش أسرار الكنيسة السبعة، فيليب بيغري و كلود دوشينو، ط١، بيروت: دار المشرق،٢٠٠٣.
١٠. عقائدنا المسيحية الأرثوذكسية، بيشوي حلمي، ط١، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧.
١١. علم اللاهوت النظامي، جيمس أنس، تحقيق: منيس عبدالنور، القاهرة: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة.
١٢. قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، جمع وتنسيق: حنانيا إلياس كساب، ط٢، بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨.

١٣. كل تعاليم الكتاب المقدس، هربرت لوكير، ط١، القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٩م.
١٤. كنيستي الأرثوذكسية ما أجملك،بيشوي حلمي، ط٤، القاهرة: دار نوبار، ٢٠٠٧.
١٥. الكنيسة أسرارها وطقوسها، عادل محمد درويش، القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٩٤.
١٦. الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر هونرمان، ت: يوحنا منصور و حنا الفاخوري،ط١، بيروت: المكتبة البوليسية، ٢٠٠١م.
١٧. الكهنوت، عوض سمعان، كنيسة الإخوة، الولايات المتحدة.
١٨. اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، يوحنا سلامة، ط٣، القاهرة: مكتبة مارجرجس، ١٩٦٥.
١٩. اللاهوت العقيدي في أسرار الكنيسة السبعة، الأنبا غريغوريوس، القاهرة: جمعية الأنبا غريغوريوس، ٢٠٠٥.
٢٠. المباحث في اعتقادات بعض الكنائس، ويليام نيفينز، بيروت، ١٨٦٦م.
٢١. المسيحية في عقائدها، تعريب: كيرلس سليم، ط١، بيروت: المكتبة البولسية، ١٩٩٨.
٢٢. مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، أبوالبركات ابن كبر، القاهرة: مكتبة المحبة.
٢٣. معجم الإيمان المسيحي، صبحي حموي اليسوعي، ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٨.
٢٤. معجم المصطلحات الكنسية،الراهب أثناسيوس،ط١،القاهرة: دارنوبار، ٢٠٠٢.
٢٥. موسوعة علم اللاهوت، ميخائيل مينا، تحقيق: ميخائيل إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة.